تأصيل مفهوم الوسطية وتصحيح المفاهيم الخاطئة فيها

تأليف

أ.د. عبد الكريم بن عيسى الرحيلي

الأستاذ بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

١٤٤٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾،[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾،[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾،[٣] أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار،[٤] وبعد:

فهذا بحث أقدمه في ندوة الوسطية في القرآن والسنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية وجمهورية جزر القمر؛ والتي ستقام في جمهورية جزر القمر بتاريخ (١٤٣٧/٩/٧هـ)، وعنوان بحثي الذي سأشارك به هو: «**تأصيل مفهوم الوسطية وتصحيح المفاهيم الخاطئة فيها**».

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠-٧١).

(٤) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة، رواها عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة، منهم: جابر بن عبدالله، وعبدالله بن مسعود، وغيرهما، وهي تشرع بين يدي كل خطبة: جمعة، أو عيد، أو محاضرة، أو نكاح، أو درس، أو مؤلف، روى جزءاً منها: مسلم في (كتاب الجمعة –باب تخفيف الصلاة والخطبة) (ص: ٣٤٤) ح (٨٦٧)، وابن ماجه في (باب اجتناب البدع والجدل) (٣١/١) ح (٤٦)، وأبو داود في (كتاب الصلاة – باب الرجل يخطب على قوس) (٣١٩/٢) ح (١٠٩٧)، والترمذي في (أبواب النكاح عن رسول الله – ﷺ – باب ما جاء في خطبة النكاح) (٤١٣/٣) ح (١١٠٥)، والنسائي في (كتاب الجمعة –باب فضل الإنصات وترك اللغو يوم الجمعة) (١٠٤/٣) ح (١٤٠٤)، وقد صححها الشيخ الألباني، وله رسالة مفردة في جمع طرقها، وتخريجها، والحكم عليها، بعنوان: "خطبة الحاجة".

وقد قسمت البحث إلى : مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الوسطيَّة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مفهوم الوسطيَّة في القرآن والسنة.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الوسطيَّة في القرآن.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطيَّة في السنة.

المبحث الثالث: المفاهيم الخاطئة للوسطيَّة.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الغلو.

المطلب الثاني: مفهوم التفريط.

المبحث الرابع: وسطية واعتدال المملكة العربية السعودية.

الخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح

مفهوم الوسطيّة في اللغة:

من قرأ في بطون كتب اللغة وجد أن كلمة (الوسطيّة) مصدر صناعي[١]؛ من كلمة (وسط)، تدل على جملة من المعاني؛ وكلها تتقارب من حيث الدلالات، وهذا الذي (استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة الوسط أرادوا في المجاز معاني الخير، والعدل، والنَّصفة، والجودة، والرفعة، والمكانة العلية.

والعرب تصف فاضل النسب بأنه "وسط في قومه"، ويقال فلان وسط الحسب في قومه، أي: متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرِّفعة في حسبه، وفلان من واسطة قومه أي من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي: من خيارهم وأشرافهم).[٢]

قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ : (الواو، والسين، والطاء: بناء صحيح، يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه).[٣]

وقال الجوهري ـ رحمه الله ـ : (وسطت القوم أسطهم وسطاً وسطة، أي توسطتهم ... وفلان وسيط في قومه؛ إذا كان أوسطهم نسبا، وأرفعهم محلاً... والوسط من كل شيء: أعدله... ويقال أيضاً: شيء وسط، أي: بين الجيد والرديء، وواسطة القلادة: الجوهر الذي في وسطها؛ وهو أجودها).[٤]

وقال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ : (وسط الشيء: ما له طرفان متساويا القدر ... والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان.

يقال: هذا أوسطهم حسباً: إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلا، وكالجود الذي هو بين البخل والسرف...

---

[١] المصدرُ الصّناعيُّ: اسم تلحقُهُ ياءُ النسبةِ مُردَفةً بالتاءِ للدلالة على صِفَةٍ فيه. ويكونُ ذلك في الأسماءِ الجامدة كالحَجريّةِ والإنسانية والحيوانيّة والكميّة والكيفيّة ونحوها، وفي الأسماءِ المشتقّةِ كالعالِميّة والفاعليّةِ والمحموديَّة والأرجحيّةِ والأسبقيّةِ والمصدريَّةِ والحرّيّةِ، ونحوها. وحقيقتُهُ الصّفة المنسوبةُ إلى الاسم. فالعالمية الصفة المنسوبة إلى العالم، والمصدرية الصفة المنسوبة إلى المصدر، والإنسانية الصفة المنسوبة إلى الإنسان. جامع الدروس العربية، مصطفى بن مُحَّد سليم الغلايينى (١٧٧/١)، وانظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (١٣٢٤/٢).

[٢] الوسطية في الإسلام، مفهومها، وضوابطها، وتطبيقاتها، رسالة ماجستير بجامعة الإمام مُحَّد بن سعود، ١٤١٠هـ، منشورة في قوقل غير مطبوعة، للطالب: فريد مُحَّد عبدالقادر (ص: ١٠ — ١١).

[٣] معجم مقاييس اللغة (١٠٨/٦)، وانظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٢١/١٣).

[٤] الصحاح (١١٦٧/٣)، وانظر: كتاب العين، للفراهيدي (٢٧٩/٧).

وتارة يقال فيما له طرف محمود، وطرف مذموم كالخير والشر...).[١]

(واعلم أن الوسط قد يأتي صفة، وإن كان أصله أن يكون اسماً؛ من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره؛ كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها؛ لتمكن الراكب... فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدس: (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**)،[٢] أي: عدلا، فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه ... وأما الوسْط، بسكون السين، فهو ظرف لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعنى؛ وهو بَيْنَ، تقول: جلست وسط القوم أي: بينهم).[٣]

اتضح من كلام أهل اللغة أن كلمة (وسط) (كيفما تصرفت هذه اللفظة، نجدها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية والنصف والبينية والتوسط بين الطرفين).[٤]

مفهوم الوسطيّة في الاصطلاح:

من أراد أن يذكر تعريفاً للوسطية في الاصطلاح ؛ فإنه لا بد أن يرجع للتعريفات اللغوية؛ لأن مادة (وسط) وردت (في القرآن الكريم والسنة المطهرة في أكثر من آية وحديث، تدور معانيها حول المعاني اللغوية لهذه المادة).[٥]

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ : (وأرى أن الله تعالى ذِكْره إنما وصفهم بأنهم (وسَط)، لتوسطهم في الدين؛ فلا هُم أهل غُلوٍ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها).[٦]

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ : (أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط؛ فأطراف داخلة تحت الخطر؛ فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم؛ كالنصارى، وبين من جفاهم؛ كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى).[٧]

---

[١] المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٦٩)، وانظر: المصباح المنير، للفيومي (٦٥٨/٢).

[٢] سورة البقرة، الآية (١٤٣).

[٣] لسان العرب (٤٢٧/٧)، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٦٩١).

[٤] وسطية أهل السنة بين الفرق د. مُحَّد باكريم (ص: ١٧).

[٥] المصدر السابق (ص: ١٨).

[٦] جامع البيان في تأويل القرآن (٣/ ١٤٢).

[٧] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٧٠).

وقال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ : (كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور).[١]

قال الدكتور مُحَمَّد باكريم ـ حفظه الله ـ بعد سرده الماتع للتعريف الاصطلاحي للوسطية: (ومن خلال هذه الأمثلة لورود "الوسطية" في استعمال الشرع نرى أنه لم يخرج بها عن أحد المعاني اللغوية التي دلت عليها مادة "وسط").[٢]

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٤/٥).

[٢] وسطية أهل السنة بين الفرق، د. مُحَمَّد باكريم (ص: ٢٢).

المبحث الثاني: مفهوم الوسطيَّة في القرآن والسنة، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الوسطيَّة في القرآن.

(الوسطيَّة هي المنزلة بين الطرفين، وهي العدل والقسط والمصلحة والمعروف التي جاءت به الشريعة، فإن الله لا يأمر إلا بالعدل، ولا يأمر بالفحشاء).[١]

وقد وردت كلمة (وسط) وتصريفاتها في القرآن في خمسة مواضع[٢] ، تختلف معانيها على حسب سياقها؛ منها:

١. الوسط بمعنى: العدل.

قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}[٣] وقد جاء تفسير هذه الآية على لسان النبي ﷺ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **((يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ: {ويكون الرسول عليكم شهيدا} فذلك قوله جل ذكره: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}** " والوسط: العدل.")).[٤] (وإنما عبّر بالوسط؛ لأنه بين الإفراط والتفريط.)،[٥] و (لأن أحمد الأشياء أوسطها).[٦]

---

[١] الوسطيَّة، د. حمد العثمان (ص: ٧).

[٢] قال تعالى:" **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** " سورة البقرة الآية (١٤٣)، وقال تعالى : **{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى}**" سورة البقرة الآية (٢٣٨)، وقال تعالى: **{فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}** سورة المائدة الآية (٨٩)، وقال تعالى: **{قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ}** سورة القلم الآية (٢٨)، وقال تعالى: **{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}** سورة العاديات الآية (٥).

[٣] سورة البقرة، الآية (١٤٣).

[٤] في كتاب تفسير القرآن . باب قوله تعالى: **{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}** (٢١/٦) ح (٤٤٨٧).

[٥] الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل الكوراني (١٦/٨).

[٦] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن(٥٠/٢٢).

(قلت: شهادة أمة مُحَمَّد ﷺ على جميع الأمم يوم القيامة برهان على عدالة هذه الأمة وشرفها، ومضمون هذا، أن هذه الأمة يوم القيامة يكونون عدولا عند سائر الأمم، ولهذا يستشهد بهم سائر الأنبياء على أممهم، ولولا اعتراف أممهم بشرف هذه الأمة لما حصل إلزامهم بشهادتهم).[١]

٢. الوسط بمعنى: أرجح العقول وأفضلها وخيرها.

قال الله تعالى: (**قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون**)،[٢] أي: أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم وأفضلهم وخيرهم رأيا.[٣]

قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ : (فقال لهم أعدلهم قولاً وخلقاً وعقلاً وهو الأوسط).[٤]

فهذه الآيات بينت من خلال شرحها وتفسيرها أن الوسطية هي: الأعدل وارجح عقلاً.

---

[١] النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (٩/٢)، وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. مُحَمَّد باكريم (ص: ١٧٦).

[٢] سورة القلم، الآية (٢٨).

[٣] انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (١٩٦/٨)، مفاتيح الغيب، للرازي (٦٠٩/٣٠)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٤٤/١٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٢٣٥/٥)، محاسن التأويل، للقاسمي (٣٠١/٩).

[٤] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٣٥٠/٥).

المطلب الثاني: مفهوم الوسطيَّة في السنة

ذكرت كلمة الوسط على لسان النبي ﷺ كثيرا؛ وبمعان متعددة تختلف بحسب اختلاف السياق؛ منها:

١. الوسط بمعنى: الأعدل والأفضل والأوسع.

جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال: **((إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)).**[١]

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ : ((أوسط الجنة) أي: أعدلها وأفضلها وأوسعها وخيرها).[٢]

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل).[٣]

وجاء في حديث أخر يوضح هذا المعنى أيضاً، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **((الوالد أوسط أبواب الجنة، فأضع ذلك الباب أو احفظه))،**[٤] أي: خير أبوابها وأفضلُها وأحسنها وأعلاها دخولاً أوسطها.

قال المناوي ـ رحمه الله ـ : ((**الوالد أوسط أبواب الجنة**)، أي: طاعته وعدم عقوقه مؤد إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها، ذكره العراقي، وقال البيضاوي: أي خير الأبواب وأعلاها؛ والمعنى: أن أحسن ما يتوسل به إلى دخول الجنة ويتوصل به إلى الوصول إليها مطاوعة الوالد ورعاية جانبه، وقال بعضهم: خيرها وأفضلها وأعلاها، يقال هو من أوسط قومه، أي: من خيارهم، وعليه؛ فالمراد بكونه أوسط أبوابها من التوسط بين شيئين ... ويحتمل أن المراد أن بر الوالدين أوسط الأعمال المؤدية إلى الجنة؛ لأن من الأعمال ما هو أفضل منه، ومنها ما هو دون البر، والبر متوسط بين تلك الأعمال).[٥]

---

[١] رواه البخاري في (كتاب التوحيد ـ باب {**وكان عرشه على الماء**} (٩/١٢٥) ح(٧٤٢٣).

[٢] التوشيح شرح الجامع الصحيح (٥/١٩٠٤)، وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/٢٤٥٤).

[٣] فتح الباري (٦/١٣)، وانظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٥/٢١٣).

[٤] رواه ابن ماجة في (كتاب الأدب ـ باب بر الوالدين) (٢/١٢٠٨) ح(٣٦٦٣)، والترمذي في (أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ـ باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين) (٤/٣١١) ح (١٩٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٢٠٠) برقم (٧١٤٥).

[٥] فيض القدير (٦/٣٧١)، وانظر: شرح السنة، للبغوي (١٣/١١)، شرح المصابيح، لابن الملك (٥/٢٨٤)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/٣٠٨٩)، تحفة الأحوذي (٦/٢١).

٢. الوسط بمعنى: أن يتوسط في المكان.

جاء ذلك في حديث سمرة بن جندب ﵁: **(أن امرأة ماتت في بطن، فصلى عليها النبي ﷺ، فقام وسطها)،**[١] فـ(كل ما كان يبين بعضه من بعض كوسط الصف، والقلادة، والسبحة، وحلقة الناس، ونحو ذاك فهو وسْط بالإسكان).[٢]

---

[١] رواه البخاري في (كتاب الحيض. باب الصلاة على النفساء وسنتها) (٧٣/١) ح(٣٣٢).

[٢] عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد، للسيوطي(٣٨٤/١).

المبحث الثالث: المفاهيم الخاطئة للوسطية، وتحته مطلبان:

المطلب الأول المطلب الأول: مفهوم الغلو

قبل الدخول في هذا المطلب؛ لابد من معرفة منهج أهل السنة والجماعة في العبادات والمعاملات؛ فهو منهج وسط واعتدال، بين طرفين مذمومين في الشرع؛ هما "الغلو والتقصير". (فهذان مدخلان للشيطان على الإنسان، فالشيطان؛ إما أن يحمل الإنسان على الغلو في الدين؛ فيقع في التجاوز؛ فيبتدع في الدين ما لم يأذن به الله.

أو يحمله على التقصير بترك واجب، أو فعل محرم).[١]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه: مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد).[٢]

وقال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ : (ما من أمْرٍ أمَرَ اللَّه به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب: الغلو والتقصير).[٣]

وقال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ : (قال سفيان بن حسين: أتدري ما السمت الصالح؟ ليس هو بحلق الشارب، ولا تشمير الثوب، وإنما هو لزوم طريق القوم، إذا فعل ذلك، قيل قد أصاب السمت، وتدري ما الاقتصاد؟ هو المشي الذي ليس فيه غلو ولا تقصير).[٤]

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : (دين الله وضع فوق التقصير ودون الغلو)،[٥] وقال أيضاً: (إن دين الله وضع على القصد فدخل الشيطان فيه بالإفراط والتقصير فهما سبيلان إلى نار جهنم).[٦]

وهذا يبين أن دين الله تعالى الذي أنزله على رسله ـ عليهم السلام ـ هو المنهج الوسط، وأن الغلو والتفريط ليس من دين الله في شيء.

مفهوم الغلو: الغلو هو: (مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده، أو ذمه، على ما يستحقه ونحو ذلك).[٧]

قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ : (الغلو هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف).[١]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص: ٤١٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٤٦٤).

(٣) المقاصد الحسنة، للسخاوي (ص: ٣٣٢).

(٤) التمهيد (٢١/٦٨).

(٥) الاعتصام، للشاطبي (١/٣٩٥).

(٦) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ للحكيم الترمذي (١/١٦٧).

(٧) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/٣٢٨).

وقال الشيخ الفوزان ـ حفظه الله ـ : (الغلو: الزيادة في الدين أو في التدين والخروج عن الحد المشروع؛ لأن الدين وسط بين الغلو والتساهل، وسط بين الجفاء وبين الزيادة، هذا هو الغلو).[٢]

(وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان؛ الذي نهى الله عنه في قوله: {وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي}[٣]).[٤]

ذم الغلو في القرآن:

ذم الله في كتابه العزيز الغلو، وبيّن أنه مسلك أهل الكتاب، فالنصارى غلو في عيسى ـ عليه السلام ـ ؛ حتى رفعوه فوق منزلته التي أنزله الله تعالى، واليهود غلو في جفائه فأنكروا رسالته، واتهموه بأنه ابن زنا.

قال تعالى عنهم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}[٥]، وقال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ}،[٦] ففي هاتين الآيتين بيّن ربنا أن (الغلو كثير في النصارى، فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله، بل غلوا فيمن زعم أنه على دينه من أتباعه، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلا، وناقضتهم اليهود في أمر عيسى عليه السلام، فغلوا فيه فحطوه من منْزلته حتى جعلوه ولد بغي)،[٧] (فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر. ولذلك قال مطرف بن عبد الله: الحسنة بين سيئتين. وقال الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر:

عليك بأوساط الأمور فإنها ... نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا). [٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن).[٩]

---

(١) الاعتصام (٣٩٢/١)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (٢٧٨/١٣).

(٢) المنتقى من فتاوى (٢٢٤/١).

(٣) سورة طه، الآية (٨١).

(٤) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالله (ص: ٢٥٤).

(٥) سورة المائدة، الآية (٧٧).

(٦) سورة النساء، الآية (١٧١).

(٧) تيسير العزيز الحميد للشيخ (ص: ٢٥٤).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢١/٦).

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٣٢٩/١).

ذم الغلو في السنة:

كذلك حذرت السنة من الغلو في الدين؛ فقد جاء في الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ: **(هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون)** قالها ثلاثا)،[١] (أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم).[٢]

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا).**[٣] أي: (توسطوا من غير إفراط، ولا تفريط، وقاربوا إن لم تستطيعوا العمل بالأكمل، فاعملوا ما يقرب منه، وأبشروا بالثواب على العمل الدائم وإنْ قل، واستعينوا على تحصيل العبادات بفراغكم ونشاطكم، قال الله تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}[٤]).[٥]

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، قال بن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة؛ فإنه من الأمور المحمودة؛ بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته؛ كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة).[٦]

---

[١] رواه مسلم في (كتاب العلم ـ باب هلك المتنطعون) (٢٠٥٥/٤) ح(٢٦٧٠).

[٢] شرح النووي على مسلم (٢٢٠/١٦).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان ـ باب: الدين يسر) (١٦/١)ح(٣٩).

(٤) سورة الشرح، الآيتان (٧ ـ ٨).

(٥) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك (ص: ١١٦)، وانظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، للتوربشتي (٣١٦/١)، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣٦٨/١).

(٦) فتح الباري (٩٤/١)، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (٣٢٥/٧).

المطلب الثاني: مفهوم التفريط.

(التفرط: هو التضييع والتقصير، قال ابن عرفة: هو ترك الشيء حتى يمضى وقت إمكانه، ثم يخرج إلى وقت يمتنع فيه، يقال: "فرّط" بالتشديد: إذا قصر ... و"أفرط": إذا جاوز الحد).[١]

و(الفرق بين الإفراط والتفريط؛ أن الإفراط يستعمل في تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال، والتفريط يستعمل في تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير).[٢]

ذم التفريط في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾،[٣] **أي:** (من التفريط الّذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان، وقيل: من الإفراط ومجاوزة الحدّ، وكأن القوم قالوا: نحن أشراف مضر إن أسلمنا أسلم النّاس، وكان هذا من التّكبّر والإفراط في القول).[٤]

قال ابن عطيّة ـ رحمه الله ـ : (يحتمل أن يكون الفرط بمعنى التفريط والتّضييع، أي كان أمره الّذي يجب أن يلزم ويهتمّ به من الدّين تفريطا، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف، أي كان أمره وهواه الّذي هو سبيله إفراطا وإسرافا).[٥]

وقال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾،[٦] أي: (لا تطع من شغل عن الدّين وعبادة ربّه بالدّنيا، والحال أنّ أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعا له ولا محبّا لطريقته بما هو فيه).[٧]

قال ابن الجوزيّ- رحمه الله تعالى-: (الويل كلّ الويل على المفرّط الّذي لا ينظر في عاقبته).[٨]

ذم التفريط في السنة:

قال رسول الله ﷺ: **((أما إنّه ليس في النّوم تفريط، إنّما التّفريط على من لم يصلّ الصّلاة حتّى يجيء وقت الصّلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلّها حين ينتبه لها))**،[٩] (أي: تقصير ينسب إلى النائم في تأخيره الصلاة (**إنما التفريط في اليقظة**) أي إنما

---

(١) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، مُحَمَّد بن بطال الركبي (٥٥/١)، وانظر: الصحاح (١١٤٨/٣).

(٢) التعريفات، للجرجاني (ص: ٣٢)، وانظر: الكليات، للكفوي (ص: ١٥٥).

(٣) سورة الكهف، الآية (٢٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣٩٢/١٠).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥١٣/٣).

(٦) سورة الكهف، الآية (٢٨).

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٥٤/٥).

(٨) صيد الخاطر (ص: ٢٥٨).

(٩) رواه مسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها) (٤٧٢/١) ح(٦٨١).

التفريط يوجد في حالة اليقظة بأن تسبب في النوم قبل أن يغلبه أو في النسيان بأن يتعاطى ما يعلم ترتبه عليه غالبا كلعب الشطرنج فإنه يكون مقصرا حينئذ ويكون آثما).(١)

قال الشيخ عبدالمحسن العباد ـ حفظه الله ـ : (وليس في النوم تفريط إذا كان الإنسان لم يحصل منه تفريط، لكن بعض الناس يفرطون، مثل الذين يسهرون الليل وإذا أقبل وقت الفجر ناموا ولا يقومون إلا بعد طلوع الشمس، فهؤلاء مفرطون).(٢)

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((**أدومها وإن قل**)) وقال: ((**اكلفوا من الأعمال ما تطيقون**))،(٣) و (هذا أمر بالاقتصاد وترك الحمل على النفس؛ لأن الله تعالى إنما أوجب عليهم وظائف من الطاعات في وقت دون وقت تيسيرا ورحمة).(٤)

قال الشيخ عبد الكريم الخضير ـ حفظه الله ـ : ((**اكلفوا من العمل ما تطيقون**))، فلا تكلف نفسك ما لا تطيق، نعم قد تأخذ بالعزيمة، وقد تأخذ بعسف النفس على عدم التساهل والتراخي؛ لأن التساهل يجر إلى ما وراءه، على كل حال اكلف من العمل ما تطيق).(٥)

وللشاطبي ـ رحمه الله ـ كلام جميل في الموضوع في الغلو والتفريط قال: (فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر.

فطرف التشديد -وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر- يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين.

وطرف التخفيف -وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص- يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحا، ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه).(٦)

---

(١) تحفة الأحوذي (١/٤٤٨). وانظر: شرح المصابيح، لابن الملك (١/٣٧٩)، فيض القدير (٥/٣٧٥).

(٢) شرح سنن أبي داود (١٩/٦٤).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق ـ باب القصد والمداومة على العمل) (٨/٩٨) ح(٦٤٦٥).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/٢٣٩).

(٥) شرح الأربعين النووية (١٢/ ٧).

(٦) الموافقات (٢/٢٨٦).

المبحث الرابع: وسطية واعتدال المملكة العربية السعودية

يصعب على الباحث أن يسرد في هذا البحث وسطية واعتدال المملكة العربية السعودية؛ ماذا سأكتب؟ ماذا سأجمع؟ ماذا سأسرد؟ ماذا أقول؟ أقول: هذا العنوان؛ يحتاج إلى رسائل علمية في كل ناحية من نواحي الحياة في المملكة العربية السعودية، يكفي باختصار أن اجمل وسطيتها في عبارة واحدة تروي الغليل، وتشفي العليل، وتكتم أنفاس العدو؛ منهجها هو " الكتاب والسنة"، فهو دستورها التي تعتمد عليه في نواحي الحياة، منذ قيامها ـ ولله الحمد ـ إلى وقتنا المعاصر في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود أيده الله؛ فهو من سلالة الملك الصالح الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود؛ والذي كان يقول في خطبه وكلماته إن دستورنا هو الكتاب والسنة؛ ثم سلك هذا المنهج أولاده البررة بدءاً بالملك سعود ثم فيصل ثم خالد ثم فهد ثم عبدالله رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جنانه.

فكلهم كانوا ينبذون الغلو والتطرف بأنواعه وأشكاله وصوره، أضف إلى ذلك شدتهم في إقامة هذا الدين دون هوادة أو تساهل أو تقصير.

فمن نظر في منهج المملكة العربية في تطبيقها للوسطية وجد أنها طبقتها على الفرد المواطن والمقيم؛ كذلك طبقت هذا المنهج في جميع دوائرها الحكومية، ولم تستثن دائرة ولا فردا إلا وطبقت الوسطية فيه.

كذلك من نظر في منهجها مع جميع الدول، تجد أنها سباقة لتطبيق الوسطية من خلال المنابر العالمية؛ كمنبر الأمم المتحدة، وحقوق الإنسان، والمحافل الدولة، لا يسبقها أحد في ذلك .

ومن صور تطبيقاتها للوسطية في الداخل والخارج: الدعم المادي والمعنوي اللّامحدود، ومقاومة المنحرفين عن منهج الوسطية في الداخل والخارج، عن طريق الاتفاقات العربية والإسلامية والدولية .

ومن الصور أيضاً: مقاومة المناهج المنحرفة للوسطية عن طريق المراكز العلمية، ومركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية؛ والذي أثمر في رجوع كثير من المنحرفين إلى جادة الوسطية؛ حتى أصبح هذا المركز شعلة هداية للمنحرفين .

ومن الصور أيضاً: إنشاء المنظمات والهيئات الإسلامية على منهج الوسطية؛ كمنظمة المؤتمر الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي، كل هذا من أجل نشر المنهج الوسط القائم على الكتاب والسنة وعلى فهم سلف الأمة.

ومن الصور أيضاً: إقامة المؤتمرات والندوات المحلية والدولية؛ كهذه الندوة التي نحن بصددها، "ندوة الوسطية في القرآن والسنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية وجمهورية جزر القمر؛ والتي ستقام في جمهورية جزر القمر بتاريخ (٧ ـ ٩ ـ ١٤٣٧هـ)".

وكما قلت لن أحصي دور المملكة في نهج الوسطية في هذا البحث وفي هذه الندوة، ولكن حسبي أن اختم هذا المبحث بقول لمؤسس بلاد التوحيد والسنة الملك الصالح الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في نهج الوسطية والاعتدال، قال ـ رحمه الله ـ : (إن بعضكم يلتبس عليه الأمر في بعض أئمة المسلمين ومعتقداتهم، ويخص أحداً دون أحد بالتفضيل، فأحببتُ أن أشرح أمر الاعتقاد الذي ذكره المشايخ في خطبهم، وهو ذكرهم أن معتقد المسلمين واحد - حضرياً وبدوياً - تعرفون أن أصل المعتقد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وما كان عليه أصحاب محمد ﷺ ، ثم السلف الصالح من بعدهم، ثم من بعدهم أئمة المسلمين الأربعة: الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد والإمام أبو حنيفة، هؤلاء اعتقادهم واحد في الأصل، وهو

أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتقرير ذلك في كتب العلماء الذين تراجعونهم - بحمد الله- كل ساعة، فهم في هذا الأصل واحد ، وقد يكون بينهم اختلاف في الفروع، كلهم على حق - إن شاء الله - ومن حذا حذوهم إلى يوم القيامة، ونحن - أهل نجد كافة - أخذنا بمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وإلا في الأصل نحن والمذكورون أعلاه على ما جاء به مُحَمَّد ﷺ).[١]

فهذا القول منه ـ رحمه الله ـ يذكر فيه منهجه في الاعتقاد، وأنه على منهج السلف الصالح ، ومن صلحت عقيدته، صلحت عبادته لله تعالى، وصلحت معاملته مع الخلق.

وعلى هذا النهج القويم سار أولاده إلى يومنا هذا ، رحمه الله الميت منهم، وحفظ الباقي منهم على طاعته.

(١) مختارات من الخطب المكية (١٠٦/١).

وانظر بتوسع لمسألة الوسطية في الإسلام وفي النهج السعودي إلى الندوة المباركة التي أقيمت في الجامعة الإسلامية باسم: (الوسطية منهج رباني ومطلب إنساني) تحت إشراف (كرسي الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب للوسطية ودراساتها) فضيلة شيخنا الدكتور مُحَمَّد باكريم مُحَمَّد باعبدالله ـ حفظه الله ـ، رئيس الكرسي، من ٢٠ – ٢١ / ١/ ١٤٣٤هـ.

وقد استفدت من الأبحاث المعروضة في الندوة، والتي بلغت: (٢٢) بحثاً.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الكريم ﷺ، أما بعد:

فمن خلال هذا البحث المتعلق " **تأصيل مفهوم الوسطية وتصحيح المفاهيم الخاطئة فيها**" تبين لي ما يلي:

١. أن الوسطية في كتب اللغة مأخوذة من العدل، والفضل، والخيرية، والنصف، والبينية، والتوسط بين الطرفين.

٢. أن الوسطية في استعمال الشرع نرى أنها لم تخرج عن المعاني اللغوية التي دلت عليها مادة "وسط"

٣. وردت كلمة (وسط) وتصريفاتها في القرآن والسنة في مواضع كثيرة ، تختلف معانيها على حسب سياقها.

٤. منهج أهل السنة والجماعة في العبادات والمعاملات؛ منهج وسط واعتدال، بين طرفين مذمومين في الشرع؛ هما "الغلو والتقصير".

٥. منهج المملكة العربية السعودية قائم على الوسطية في جميع أمورها سواء ما يتعلق بالفرد والمجتمع الداخلي والخارجي، أخذ هذا المنهج من الكتاب والسنة على ضوء فهم سلف الأمة.

والحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

